بني إسرائيل بين الطاعة والمعصية
(نظرة قرآنيَّة)

Banu Israil Between Obedience and Disobedience

A Quranic perspective

بحث تقدم به الطالب

عصام ذنون يونس أمين

A research Paper Submitted by the student:

Issam Dhanoun Younis Ameen

Issamdhnoonalhedre1971@gmail.com

خلاصة البحث

تناول البحث بني إسرائيل وهي أكثر الأمم ذكراً في القرآن فجاءت الدراسة في بيان طاعتهم ومعصيتهم لأوامر الله وتوجيهاته من خلال آيات القرآن الكريم، تهدف الدراسة إلى تحديد الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذه التقلبات في السلوك، واستجلاء النتائج المترتبة على الطاعة والمعصية، وأثر ذلك على حياتهم وعلاقتهم بالله، وتتبعت المنهج التحليلي لتحليل الآيات القرآنية المتعلقة ببني إسرائيل، والمنهج الوصفي لوصف الأحداث والقصص القرآنية، المنهج الاستنباطي لاستخلاص الدروس والعبر من المواقف القرآنية. فتناول الدراسة التعريف ببني إسرائيل في القرآن الكريم، ذكر بني إسرائيل في القرآن الكريم مواقف الطاعة في القرآن، النتائج المترتبة على الطاعة، مظاهر المعصية عند بني إسرائيل، العقوبات المترتبة على المعصية، اسباب الطاعة والمعصية عند بني اسرائيل والدروس المستفادة منها، العوامل المؤثرة في طاعتهم ومعصيتهم لله تعالى.

Research Summary:

This research examines the Children of Israel, the nation most frequently mentioned in the Quran. The study explores their obedience and disobedience to God's commands and guidance through Quranic verses. It aims to identify the causes and factors that led to these fluctuations in behavior, clarify the consequences of obedience and disobedience, and their impact on their lives and relationship with God. The study employs an analytical approach to analyze Quranic verses related to the Children of Israel, a descriptive approach to describe Quranic events and stories, and a deductive approach to extract lessons and insights from Quranic situations. Specifically, the study addresses the definition of the Children of Israel in the Quran, their mention in the Quran, instances of obedience, the consequences of obedience, manifestations of disobedience among the Children of Israel, the punishments resulting from disobedience, the reasons for obedience and disobedience among the Children of Israel and the lessons learned from them, and the factors influencing their obedience and disobedience to God Almighty.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدىً ورحمةً للعالمين، وجعل فيه من القصص والعبر ما يوجه الناس نحو الحق والخير، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإنّ القارئ للقران الكريم يجده قد فصّل الحديث عن بنى إسرائيل تفصيلاً وافيا، ووصف أحوالهم و أخلاقهم ومواقفهم من الأنبياء - عليهم الصلاة و السلام - وصفاً صادقًا مستفيضا.

ففى الآيات والسور المكية تحدث القرآن الكريم عن قصصهم، وعن تعذيب فرعون لهم وعن أحوالهم المختلفة فى العهود التى سبقت بعثة النبى (صلى الله عليه وسلم).

أما فى الآيات والسور المدنية فقد تحدث عن موقفهم من الدعوة الإسلامية، وعما أسبغه الله عليهم من نعم، وما أنزله بهم من نقم، جزاء فسقهم عن أمر ربهم، كما تحدث بالتفصيل عن أخلاقهم ورذائلهم ودعاواهم الباطلة وعن مسالكهم المتنوعة لكيد الإسلام والمسلمين.

إن الإسلام احترم اليهودية كدين سماوي أوحى به الله إلى موسى عليه السلام، ليخرج بنى إسرائيل من الظلمات إلى النور، وليصل بهم إلى المستوى الإنسانى الرفيع . ولكن بني إسرائيل - باستثناء عدد قليل منهم - لم ينهضوا بهذا الدين، ولم يقيموا تعاليمه، بل كان موقفهم منه دائماً موقف المتأبي عن الحق المعارض له .

ومن ثم ذمهم القرآن كما ذمتهم التوراة والإنجيل، وسجل الله عليهم ذلك ليتقى الناس شرهم من جهة وليكونوا عبرة لغيرهم من جهة أخرى .

وكانت مواقفهم هذه بارزة فى عهد موسى وعيسى ومحمد _صلوات الله عليهم جميعاً_ .

وهذه المواقف كشفت عن الكثير من جوائرهم وجرائمهم، وأبانت عن خبث طبيعتهم وسوء طويتهم، وقضت على الخرافة التي يؤمنون بها من أنهم شعب الله المختار، وكانت شرورهم ومفاسدهم موزعة في الجهات التي يعيشون فيها.

وأما وقد تجمعوا أخيراً في دولة إسرائيل، وأرادوا من وراء تجمعهم هذا أن يضربوا العالم العربي والإسلامي الضربة القاضية، ثم يتخذوا منه نقطة الانطلاق للاستيلاء على العالم كله، كان من الواجب التنبيه إلى خطورة هذا التجمع .

وهذه نظرات عابرة تكشف عن اخلاق بني اسرائيل تاريخيا، وموقفهم من أنبياء الله ورسله في العهد القديم، وطاعتهم وعصيانهم في مواقف متعددة والنتائج التي ترتبت على افعالهم.

حيث يعتبر بنو إسرائيل من أكثر الأقوام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، حيث تناولت الآيات الكريمة الكثير من جوانب حياتهم وأعمالهم، وسلطت الضوء على طاعتهم ومعصيتهم لأوامر الله وتوجيهاته. ونظراً لأهمية هذا الموضوع، اخترت أن يكون عنوان بحثي «بني إسرائيل بين الطاعة والمعصية: نظرة قرآنية»، وذلك بهدف تحليل ودراسة المواقف المختلفة التي مر بها بنو إسرائيل والعبر المستفادة منها

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول فهم وتحليل السلوكيات المتناقضة لبني إسرائيل كما وردت في القرآن الكريم، حيث يظهرون في مواضع عدة مطيعين لأوامر الله ونواهيه، وفي مواضع أخرى عاصين متمردين. تهدف الدراسة إلى تحديد الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذه التقلبات في السلوك، واستجلاء النتائج المترتبة على الطاعة والمعصية، وأثر ذلك على حياتهم وعلاقتهم بالله. ستساعد هذه الدراسة في توضيح الرسائل والدروس القرآنية المستفادة من قصص بني إسرائيل، والتي يمكن أن تكون ذات فائدة للمجتمع الإسلامي اليوم.

أهميَّة الموضوع:

يهدف هذا البحث إلى استعراض الطاعة والمعصية لبني إسرائيل كما وردت في القرآن الكريم، وتحليل الأسباب والعوامل التي أدت إلى طاعتهم ومعصيتهم، واستخلاص الدروس والعبر من قصصهم لتطبيقها في حياتنا المعاصرة.

منهجيَّة البحث:

- منهج تحليلي: لتحليل الآيات القرآنية المتعلقة ببني إسرائيل.
- منهج وصفي: لوصف الأحداث والقصص القرآنية.
- منهج استنباطي: لاستخلاص الدروس والعبر من المواقف القرآنية.

أسأل الله أن يوفقني في هذا البحث، وأن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من يطلع عليه.

المبحث الأول: التعريف ببني إسرائيل في القرآن الكريم

المطلب الأول: التعريف ببني إسرائيل وأهميتهم في التاريخ الديني

بنو إسرائيل هم أحفاد النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وردت تسمية «إسرائيل» في القرآن الكريم كاسم يعقوب عليه السلام، وجاءت الآيات تذكرهم بكثرة لكونهم الأمة التي اختارها الله وأرسل إليها العديد من الأنبياء.

وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وكان قبل المسيح بأقل من ألفي عام، ويسمون أيضاً بالعبرانيين . وكلمة إسرائيل مركبة من (إسرا) أي عبد أو صفوة أو مهاجر الله و (ايل) بمعنى الله، وهو لقب يعقوب عليه السلام [١].

وأبناؤه هم الأسباط هم سلائل أولاد يعقوب العشرة، وسلائل ولدي ابنه يوسف، فيكون عددهم اثنى عشر وأصلهم من الساميين.

يطلق المؤرخون أسماء «العبرانيين واليهود وبني إسرائيل» ويريدون بها طائفة واحدة معينة من الناس وهم: أبناء يعقوب، بيد أن اليهود وإن تبجحوا بهذا النسب الكريم لا يستطيعون أن يقيموا الدليل على نقاوة الدم السامي في عروق المعاصرين منهم بعد هذه السنين الطويلة التي مرت عليهم حافلة بالأحداث والفتن والمذابح والتشريد والاضطهاد بسبب طبائعهم الشاذة التي مر ذكرها.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن اسم العبرانيين أطلق عليهم بعد أن عبروا نهر الأردن قادمين من سيناء والعقبة صوب مدينة أريحا، وهو النهر الذي ذكره الله في سورة البقرة {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ}(البقرة: ٢٤٩)

أما كلمة «اليهود» فقد ذكر الله على لسان موسى عليه السلام الدعاء المشهور {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} (الاعراف: ١٥٦)، أي تبنا ورجعنا. وقال تعالى في سورة الجمعة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الجمعة: ٦)

فهم على هذا المعنى في أصل التسمية الطائفة التائبة الراجعة إلى الله زمن موسى عليه السلام، ولعلهم سموا باليهود كذلك نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام، ويعقوب عليه السلام جدهم جميعا، وكان يسمى «إسرائيل» أيضا كما ورد ذلك في القرآن الكريم[٢]

(١)ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ: ٣ / ٤٧٤

(٢)بنو إسرائيل في ضوء الإسلام، محمد أمين سليم، مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة السابعة، العدد

ويبدأ تاريخهم بهجرة إبراهيم عليه السلام من مدينة أور إحدى مدن الكلدان القديمة في العراق، وهي الآن تعرف باسم مغير، وكان سبب هذه الهجرة الفرار من الأرض التي تعبد فيها الأصنام، والتي كان يقدسها أبو إبراهيم وأسرته. واستقر إبراهيم أخيراً بحبرون التي تسمى الآن بالخليل، وقد مات بها ودفن فيها، وإبراهيم عليه السلام أنجب إسماعيل، وكان نسله العرب المستعربة، كما أنجب إسحاق وهو والد يعقوب الملقب بإسرائيل، وإليه ينسب الإسرائيليون.

وقد رحلوا إلى مصر فى عهد يوسف، ومكثوا فيها أربعة قرون وتناسلوا وكثروا، وقد لقوا من ملوك مصر اضطهاداً فأرسل إليهم، موسى عليه السلام، فأنقذهم من فرعون، وهو على الأرجح رمسيس الثاني وابنه منفتاح الذي غرق.

ولما خرج موسى مع الإسرائيليين إلى الطور مكثوا فيه أربعين سنة، وهناك أوحى الله إليهم شريعة التوراة إلا أنه لم يلبث أن مات موسى في التيه، وبعد وفاته تولى أمرهم فتاه يوشع بن نون، وهو الذي دخل بهم أرض كنعان، وهي الأرض المقدسة

وكان يتولى أمورهم قضاة منهم، ثم حدثت فتن أخرجتهم من ديارهم وأبنائهم بما استدعى أن يولوا عليهم ملوكاً منهم .

فكان أول ملك منهم طالوت، ثم خلفه داود، ثم جاء بعده ابنه سليمان، وبعد سليمان انقسمت المملكة إلى دولتي إسرائيل ويهوذا، وقد عاشت إسرائيل حوالى ٢٥٥ سنة، كما عاشت يهوذا حوالي ٣٨٩ سنة .

ثم بعد ثم جاء البابليون والآشوريون فدمروها تدميراً، فلم تقم لهم دولة بعد [١].

المطلب الثاني: ذكر بني إسرائيل في القرآن الكريم

القرآن الكريم يذكر بني إسرائيل في العديد من المواضع، مشيرًا إلى أحداث مهمة في تاريخهم، بدءًا من قصص الأنبياء الذين أرسلوا إليهم، مثل موسى وهارون وداود وسليمان، وصولًا إلى تفاعلهم مع النعم والعقوبات التي أنزلها الله عليهم.

وسأسرد أغلب الايات التي ذكرت فيها بنو اسرائيل في القرآن الكريم مع اسم السورة ورقم الاية:

الثالث، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م: ٧١

(١)اليهود في القرآن، السيد سابق، الفتح للاعلام العربي، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ط٤: ٥ - ٧

١. سورة البقرة

- الآية ٤٠: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)

- الآية ٤٧ و الآية ١٢٢: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)

٢. سورة آل عمران

- الآية ٩٣: (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

٣. سورة النساء

- الآية ١٥٣: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا)

٤. سورة المائدة

- الآية ١٢: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)

- الآية ٣٢: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)

٥. سورة الأعراف

- الآية ١٠٥: (حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

- الآية ١٣٨: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)

٦. سورة يونس

- الآية ٩٠: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

٧. سورة الإسراء

- الآية ٢: (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا)

- الآية ٤: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا)

٨. سورة طه

- الآية ٨٠: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى)

٩. سورة الشعراء

- الآية ١٩٧: (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

١٠. سورة السجدة

- الآية ٢٣: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)

١١. سورة الزخرف

- الآية ٥٩: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)

١٢. سورة الدخان

- الآية ٣٠: (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ)

١٣. سورة الجاثية

- الآية ١٦: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)

١٤. سورة الأحقاف

- الآية ١٠: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

١٥. سورة الصف

- الآية ٦: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)

هذه الآيات توضح مختلف المواقف والأحداث التي تتعلق ببني إسرائيل كما وردت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مظاهر الطاعة عند بني اسرائيل

المطلب الأول: مواقف الطاعة في القرآن

هناك عدد محدود من الآيات في القرآن الكريم التي تشير إلى مواقف طاعة بني إسرائيل لله عز وجل. وإليك بعض هذه الآيات مع شرح مفصل لكل منها:

الآية الأولى: : «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ» (سورة البقرة، ٨٣)

تذكر الآية ميثاقًا أخذه الله على بني إسرائيل، والذي تضمن أوامر أساسية مثل عبادة الله وحده، والإحسان إلى الوالدين والأقارب، واليتامى والمساكين، وقول الكلام الطيب للناس، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.، رغم أن بني إسرائيل تولوا عن هذا الميثاق إلا قليل منهم، فإن هذا القليل الذي التزم بالميثاق يعبر عن موقف الطاعة لله عز وجل. قال الامام الطبري: «ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته، ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤتوا زكاة أموالهم - فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولوا عنه معرضين، إلا من عصمه الله منهم، فوفى لله بعهده وميثاقه»[1]

الآية الثانية: «وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ» (سورة الأعراف، ١٥٩).

توضح الآية أن من قوم موسى (بني إسرائيل) هناك جماعة تهدي بالحق وتعمل بالعدل هؤلاء الأشخاص الذين يهتدون بالحق ويعملون بالعدل يمثلون مواقف الطاعة والالتزام بأوامر الله، وأن العدل هو جزء أساسي من طاعة الله وأن الهداية بالحق هي الطريق المستقيم الذي يجب اتباعه.

قال ابن كثير: «يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ مِنْهُمْ طَائِفَةً يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَيَعْدِلُونَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آلِ

(١)جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م: ٢ / ٢٩٨

عِمْرَانَ: ١١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آلِ عِمْرَانَ: ١٩٩]، وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [القصص: ٥٢ - ٥٤]. وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} الْآيَةَ [الْبَقَرَةِ: ١٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا * وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الْإِسْرَاءِ: ١٠٧ - ١٠٩].(١)

الآية الثالثة: وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ»(سورة المائدة، ١٢)

في هذه الآية، يذكر الله ميثاقه مع بني إسرائيل، والذي تضمن شروطًا محددة مثل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل، والنقباء الاثنا عشر: هم كانوا قادة بني إسرائيل الذين بعثهم الله لقيادة الناس وتوجيههم، ويعد الله بني إسرائيل بالمغفرة ودخول الجنة إذا أطاعوا هذه الأوامر، والآية تشير إلى أن هناك من بني إسرائيل من التزم بهذا الميثاق وأطاع الله، مما جعلهم يستحقون وعد الله بالمغفرة والجنة.

الآية الرابعة: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ»)سورة طه، ٨٠(

تذكر الآية إنقاذ الله لبني إسرائيل من عدوهم (فرعون وقومه) كجزء من نعم الله عليهم، وقد وعد الله بني إسرائيل عند الطور الأيمن، وهي إشارة إلى مواقف الطاعة والالتزام بالميثاق، وأنزل على بني إسرائيل الطعام والشراب (المن والسلوى) كنعمة أخرى، مما يدل على مكافأة الله لهم على طاعتهم في بعض المواقف.

(١)تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٣ / ٤٩١

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما أنعم على قوم موسى عليه السلام بأنواع النعم ذكرهم إياها ولا شك أن إزالة المضرة يجب أن تكون متقدمة على إيصال المنفعة ولا شك أن إيصال المنفعة الدينية أعظم في كونه نعمة من إيصال المنفعة الدنيوية، فلهذا بدأ الله تعالى بقوله: {أنجيناكم مّنْ عَدُوِّكُمْ} وهو إشارة إلى إزالة الضرر فإن فرعون كان ينزل بهم من أنواع الظلم كثيراً من القتل والإذلال والإخراج والإتعاب في الأعمال، ثم ثنى بذكر المنفعة الدينية وهي قوله: {وواعدناكم جَانِبَ الطور الأيمن} ووجه المنفعة فيه أنه أنزل في ذلك الوقت عليهم كتاباً فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية وهي قوله: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى * كُلُواْ مِن طيبات مَا رزقناكم} ثم زجرهم عن العصيان بقوله: {وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} ثم بين أن من عصى ثم تاب كان مقبولاً عند الله بقوله: {وَإِنّي لَغَفَّارٌ لّمَن تَابَ} وهذا بيان المقصود من الآية(١).

المطلب الثاني: النتائج المترتبة على الطاعة

طاعة بني إسرائيل لله عز وجل أدت إلى نتائج مباركة تتجلى في وعود الله لهم بالخير والمغفرة والبركة، وهي موثقة في العديد من الآيات القرآنية. وسأسرد بعض الأمثلة على النتائج المترتبة على طاعة بني إسرائيل، مع الآيات وشرحها:

١ - نزول النعم قال تعالى: : «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ»(البقرة، الآية ٤٠)

يأمر الله بني إسرائيل بأن يتذكروا النعم التي أنعم بها عليهم، مثل إنقاذهم من فرعون ومنحهم المن والسلوى. وقد طلب الله منهم الوفاء بعهدهم معه، وهو الالتزام بالعبادة والطاعة والتمسك بالشرائع التي أنزلها عليهم، ووعدهم بالمقابل بالوفاء بعهدهم إن هم أوفوا بعهدهم، مما يعني استمرار النعم والمغفرة والدخول في الجنة.

قال ابن كثير: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ قَالَ مُجَاهِدٌ: نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ فِيمَا سَمَّى، وَفِيمَا سِوَى ذَلِكَ أن فَجَّرَ لَهُمُ الْحَجَرَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ونجاهم مِنْ عُبُودِيَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: نِعْمَتُهُ أَنْ جَعَلَ مِنْهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ

(١)مفاتيح الغيب: ٢٢ / ٨٢

الْكُتُبَ، قُلْتُ: وَهَذَا كَقَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السلام لهم يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ [الْمَائِدَةِ: ٢٠] يَعْنِي فِي زَمَانِهِمْ(١).

٢ - تمكينهم في الأرض و تدمير أعداءهم: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ»(الأعراف، الآية ١٣٧)

أورث الله بني إسرائيل الأرض بعد أن كانوا مستضعفين ومكنهم فيها، وهذا نتيجة لصبرهم وطاعتهم لله واستقامتهم على الحق. والأرض المباركة المشار إليها هي فلسطين وما حولها. ونجّاهم الله من صنائع فرعون وجنوده، وهي نتيجة لطاعتهم وصبرهم. قال القرطبي: «(بِما صَبَرُوا) أَيْ بِصَبْرِهِمْ عَلَى أَذَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَى أَمْرِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِمُوسَى. (وَدَمَّرْنا مَا كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ)(٢)»

٣ - تكفير السيئات ودخول الجنة، قال تعالى: : «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ»(المائدة، الآية ١٢)

أخذ الله ميثاقًا من بني إسرائيل يتضمن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل، ومناصرتهم. والنتيجة هي وعد إلهي يتضمن التكفير عن السيئات والدخول إلى الجنة التي تجري من تحتها الأنهار، وهذا ما يناله من يلتزم بالميثاق(٣).

٤ - منح (التوراة)، والحكم، والنبوة بين ظهرانيهم، والرزق، قال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»(الجاثية، الآية ١٦)

منح الله بني إسرائيل الكتاب (التوراة)، والحكم (الفهم والقضاء)، والنبوّة بين ظهرانيهم، ورزقهم الله من الطيبات، أي النعم الكثيرة والعيش الرغيد، كما ذكر في سورة البقرة «وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ»(الآية ٥٧). وفضلهم على عالمي زمانهم بسبب

(١)تفسير القرآن العظيم: ١ / ١٨٤

(٢)الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: ٧ / ٢٧٢

(٣)ينظر جامع البيان في تأويل القرآن: ١٠ / ١٢٢

طاعتهم واستجابتهم لدعوة أنبيائهم في مراحل من تاريخهم. قال القرطبي: «وَلَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ» يَعْنِي التَّوْرَاةَ.» وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ» الْحُكْمُ: الْفَهْمُ فِي الْكِتَابِ. وَقِيلَ: الْحُكْمُ عَلَى النَّاسِ والقضاء. و» النُّبُوَّةَ» يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ مِنْ وَقْتِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.» وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ» أي الحلال مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالثِّمَارِ وَالْأَطْعِمَةِ الَّتِي كَانَتْ بِالشَّامِ. وَقِيلَ: يَعْنِي الْمَنَّ وَالسَّلْوَى فِي التِّيهِ.» وَفَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ» أَيْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ»[1]

هذه الآيات تبين أن طاعة بني إسرائيل لله عز وجل جلبت لهم البركات والمغفرة والنصر والتمكين، وهي نعم كبيرة من الله استحقوها نتيجة التزامهم بميثاقهم مع الله في بعض مراحل تاريخهم.

المبحث الثالث: مظاهر المعصية عند بني إسرائيل

المطلب الاول: مواقف المعصية في القرآن

القرآن الكريم يذكر العديد من المواقف التي عصى فيها بني إسرائيل الله عز وجل، وتناولتها آيات عديدة مع شرح لما ترتب على هذه المعاصي. إليك بعض الآيات التي تتحدث عن عصيان بني إسرائيل مع شرح مفصل لكل منها[2]:

الآية الأولى: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ» (البقرة، الآية ٦١).

طلبوا بنو إسرائيل من موسى تغيير الطعام الذي منّ الله به عليهم، رغم كونه من طعام الجنة، وطلبوا أطعمة دنياوية. فاستنكر موسى عليه السلام طلبهم بتفضيل الأدنى على ما هو خير، ونتيجة لهذا العصيان، ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، والاية تذكر أن العصيان والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بدون حق هو السبب في هذه العقوبة، قال الامام المراغي: «(وَباؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) أي واستحقوا غضب الله بما حلّ بهم من البلاء والنقم فى الدنيا، والعذاب الأليم

(١)الجامع لأحكام القرآن: ١٦ / ١٦٢ - ١٦٣

(٢)موقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى، علي بن نايف الشحود: ٥ - ٦٥

في الآخرة.(ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ) أي إن ما حلّ بهم من ضروب الذلة والمسكنة واستحقاق الغضب الإلهى، كان بسبب ما استمرأته نفوسهم من الكفر بآيات الله التي آتاها موسى وهى معجزاته الباهرة التي شاهدوها، فإن إعناتهم له، وإحراجهم إياه دليل على أنه لا أثر للآيات في نفوسهم، فهم لها جاحدون منكرون. (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) فهم قتلوا أشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق»(١).

الآية الثانية: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»(البقرة، الآية ٥٥ - ٥٦).

طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام رؤية الله جهرةً كشرط لإيمانهم. فأخذهم الله بالصاعقة نتيجة هذا الطلب الجائر .فرحمهم الله بعد موتهم بالصاعقة، حيث بعثهم مرة أخرى كفرصة لهم ليشكروا الله ويؤمنوا.

قال المراغي: «(فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أي فأخذت الصاعقة من قال ذلك، والباقون ينظرون بأعينهم.... (ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يرى بعض المفسرين أن الله أحياهم بعد أن وقع فيهم الموت بالصاعقة وغيرها ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، وكانت تلك الموتة لهم كالسكتة القلبية لغيرهم. ويرى آخرون أن المراد بالبعث كثرة النسل، أي إنه بعد أن وقع فيهم الموت بشتى الأسباب وظنّ أنهم سينقرضون، بارك الله في نسلهم ليعدّ الشعب بالبلاء السابق للقيام بحق الشكر على النعم التي تمتع بها الآباء الذين حلّ بهم العذاب بكفرهم لها. وإنما قص الله علينا هذا القصص ووجهه إلى من كان من اليهود في عصر التنزيل لبيان وحدة الأمة، وأن ما يبلوها به من الحسنات والسيئات وما يجازيها به من النعم»(٢).

الآية الثالثة: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ»(البقرة، الآية ٦٧ - ٧١).

(١)تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة البابى الحلبي، ط١، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م: ١ / ١٣٢
(٢)المصدر السابق: ١ / ١٢١

أمر الله بني إسرائيل عبر موسى عليه السلام بذبح بقرة كاختبار لطاعتهم، وبدلاً من الطاعة الفورية، بدأوا يجادلون ويسألون عن تفاصيل غير ضرورية، وبعد أن وضح لهم موسى المواصفات التفصيلية، ذبحوا البقرة على مضض، هذه القصة القرآنية تبرز مدى صعوبة بني إسرائيل في الطاعة البسيطة وتعنتهم المستمر في مواجهة الأوامر الإلهية.

قال الامام القرطبي في تفسير قولة تعالى: «(قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ) هَذَا تَعْنِيتٌ مِنْهُمْ وَقِلَّةُ طَوَاعِيَةٍ، وَلَوِ امْتَثَلُوا الْأَمْرَ وَذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ كَانَتْ لَحَصَلَ الْمَقْصُودُ، لَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»(١).

الآية الرابعة: «يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا»(النساء، الآية١٥٣)

تشير الآية إلى طلب بني إسرائيل رؤية الله جهرةً، كعقوبة لهذا الطلب غير المشروع، أخذتهم الصاعقة بسبب ظلمهم، ثم اتخذوا العجل إلهاً بعد نجاتهم رغم مجيء البينات والآيات الواضحة، وقد عفا الله عنهم رغم كل هذه المعاصي وأعطى موسى السلطان الواضح. فقوله تعالى: {فَقَدْ سَأَلُواْ موسى أَكْبَرَ مِن ذلك فقالوا أَرِنَا الله جَهْرَةً} أي سألوا موسى رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ عياناً {فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة بِظُلْمِهِمْ} أي جاءتهم من السماء نار فأهلكتهم بسبب ظلمهم {ثُمَّ اتخذوا العجل مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ البينات} أي ثم اتخذوا العجل إلهاً وعبدوه من بعد ما جاءتهم المعجزات والحجج الباهرات من العصا واليد وفلق البحر(٢).

المطلب الثاني: العقوبات المترتبة على المعصية

بني إسرائيل (اليهود) عُرفوا في القرآن الكريم بكثرة عصيانهم لله عز وجل ونقضهم العهود، وسأسرد بعض الأمثلة على النتائج المترتبة على عصيان بني إسرائيل، مع الآيات وشرحها:

١ - غضب الله والذلة والمسكنة، قال تعالى: »وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ

(١)الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٤٤٨

(٢)صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م: ١ / ٢٩١

وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ» (البقرة، الآية ٦١).

يبين الله تعالى في هذه الآية عقوبات بني إسرائيل نتيجة لعصيانهم. عندما طلبوا من موسى عليه السلام أن يطلب من ربه أن يغير طعامهم، قال لهم موسى إنهم يستبدلون الأدنى بما هو خير. نتيجة لذلك، عوقبوا بأن ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، وحل عليهم غضب من الله. وذلك لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق، وأصبحت حياتهم محفوفة بالصعوبات والمهانة، واستحقوا غضب الله وعقابه بسبب كفرهم وعصيانهم.

٢ - اللعنة وقسوة القلب والنسيان، قال تعالى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ» (المائدة، الآية ١٣).

يوضح الله أن بني إسرائيل لُعنوا بسبب نقضهم للميثاق الذي أُخذ عليهم، ونتيجة لذلك قُسيت قلوبهم، وصاروا يحرفون الكلم عن مواضعه (تحريف التوراة)، ونسوا جزءًا مما ذُكروا به. كما أنهم يواصلون الخيانة باستمرار، فطردوا من رحمة الله، وأصبحوا قساة القلب، مما جعلهم يحرفون كلام الله، ونسوا جزءًا مما أمرهم الله به، قال تعالى «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً».(البقرة الآية ٧٤).

٣ - المسخ والعذاب الشديد، قال تعالى: «وَسْأَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ. وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَئِيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ» (الأعراف، الآية ١٦٣ - ١٦٦).

هذه الآيات تتحدث عن أهل القرية التي كانت قرب البحر الذين اعتدوا في السبت. كان الله يبتليهم بأن تأتيهم الأسماك يوم السبت بكثرة، بينما لا تأتيهم في الأيام الأخرى. وعندما نسوا ما ذُكروا به وعصوا الله، أنجى الله الذين ينهون عن السوء، وأخذ الذين ظلموا بعذاب شديد بسبب فسقهم. ولما تمادوا في عصيانهم، مسخهم الله قردة خاسئين كعقاب لهم.

٤ - التيه في الصحراء، قال تعالى: «قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ».

(المائدة الآية ٢٦). نتيجة رفضهم دخول الأرض المقدسة، حكم الله عليهم بالتيه في الصحراء لمدة أربعين سنة.

المبحث الرابع: اسباب الطاعة والمعصية عند بني اسرائيل والدروس المستفادة منها

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في طاعتهم ومعصيتهم لله

أسباب الطاعة والمعصية عند بني إسرائيل في القرآن والسنة متعددة ومتنوعة، وتتناول السلوكيات والأسباب النفسية والاجتماعية والدينية التي أدت إلى عصيانهم أو طاعتهم. سأذكر بعض هذه الأسباب مع الأدلة من القرآن الكريم، وسأوضح ذلك مع ذكر المصادر.

أولا: أسباب الطاعة

١ - إيمانهم بالأنبياء واتّباعهم:

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ» (المائدة، الآية ٢٠)

تذكير موسى عليه السلام لقومه بنعمة الله عليهم بجعل الأنبياء منهم، مما يشير إلى فترات كانوا فيها طائعين لله باتباعهم للأنبياء.

٢ - التضرع والدعاء لله:

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (الأعراف، الآية ١٢٨)

دعا موسى عليه السلام قومه للاستعانة بالله والصبر، مما يعكس فترات طاعة وإيمان عند بعض بني إسرائيل.

ثانيا: أسباب المعصية(١)

١ - اتباع الشهوات والملذات:

«أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» (البقرة، الآية ٨٧) يوضح الله أنهم كلما جاءهم رسول بما لا يهوون، استكبروا وكذبوا بعض الأنبياء وقتلوا البعض الآخر، مما يعكس اتباعهم للأهواء والشهوات.

(١)موقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى، علي بن نايف الشحود: ٥ - ٦٥

٢ - قسوة القلوب:

قال تعالى: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (البقرة، الآية ٧٤)

قسوة قلوب بني إسرائيل بعد رؤية الآيات والمعجزات، حتى أن قلوبهم أصبحت أشد قسوة من الحجارة، مما أدى إلى معصيتهم.

٣ - نقض العهود والمواثيق:

قال تعالى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ» (المائدة، الآية ١٣)

يوضح الله أن نقض بني إسرائيل لعهودهم ومواثيقهم أدى إلى لعنهم وجعل قلوبهم قاسية، وتحريفهم للكلام الإلهي.

المطلب الثاني: الدروس المستفادة من طاعة وعصيان بني إسرائيل

الدروس المستفادة من طاعة ومعصية بني إسرائيل لله عز وجل كثيرة ومتنوعة، ويمكننا استنباطها من القرآن الكريم ومن كتب التفاسير. سأذكر بعض هذه الدروس مع ذكر الآية(١).

١ - أهمية الالتزام بالعهد مع الله: قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة، الآية ٦٣) الالتزام بميثاق الله وأوامره يضمن للإنسان التقوى والحماية من الضلال. إذ أن الله يذكر بني إسرائيل بالميثاق الذي أخذه عليهم ويحثهم على التمسك بما أُنزل إليهم بقوة ووعي.

٢ - عاقبة نقض العهود والمواثيق: قال تعالى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ» (المائدة، الآية ١٣).

(١) موقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى: ٨٨ - ٩٤

نقض العهود مع الله يؤدي إلى اللعنة وقسوة القلوب، مما يجعل الشخص معرضاً للتحريف والنسيان لما أمر به الله. وهذه العاقبة تظهر خطورة نقض العهود مع الله وأهمية الوفاء بها.

٣ - أثر قسوة القلوب على الإيمان: قال تعالى: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (البقرة، الآية ٧٤) قسوة القلوب تؤدي إلى الابتعاد عن الله وعدم التأثر بالآيات الإلهية. القلوب القاسية تعجز عن الخشوع لله والخشية منه، مما يؤدي إلى ضلالها.

٤ - خطورة اتباع الشهوات والأهواء: قال تعالى: «أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» (البقرة، الآية ٨٧) اتباع الشهوات والأهواء يقود الإنسان إلى الاستكبار والتمرد على رسل الله. هذا السلوك يؤدي إلى تكذيب الأنبياء بل وقتلهم، مما يعكس مدى خطورة اتباع الهوى.

٥ - ضرورة الاستعانة بالله والصبر في مواجهة المحن: قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (الأعراف، الآية ١٢٨) التضرع إلى الله والاستعانة به مع الصبر يُعدان من أهم وسائل التعامل مع المحن والابتلاءات. هذه القيم تساعد الإنسان على الثبات في مواجهة الصعاب والظفر برضا الله ونصره.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن القول أن القرآن الكريم يقدم سردًا شاملاً لتجارب بني إسرائيل مع الطاعة والمعصية، مما يعكس الدروس والعبر التي يمكن استخلاصها من مواقفهم عبر التاريخ.

يتضح من خلال الآيات القرآنية أن بني إسرائيل مروا بمراحل مختلفة من الطاعة والمعصية، وكانت لكل مرحلة نتائجها المباشرة التي تجسدت في نعمة الله وبركاته حينما أطاعوا، وفي العقوبات والغضب الإلهي حينما عصوا وتمردوا. فعند طاعتهم لله واستجابتهم لأنبيائهم، أكرمهم الله بالنعم والبركات والتفضيل على العالمين في زمانهم.

وفي المقابل، عند عصيانهم وتمردهم على أوامر الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، تعرضوا للعقوبات الإلهية المختلفة مثل الذلة والمسكنة وغضب الله.

وهذه الأحداث تؤكد أن العلاقة بين الطاعة والمعصية وبين النتائج المترتبة عليها هي علاقة وثيقة وعادلة.

كما أن القصص القرآني لبني إسرائيل يعزز مفهوم العدالة الإلهية والتربية الإلهية للأمم من خلال التجارب والمحن، مما يبرز أهمية الاستقامة والطاعة لله ولرسله عبر الزمن. وهذه القصص ليست مجرد سرد تاريخي بل هي دروس مستمرة للمسلمين ولكل البشرية في ضرورة التمسك بحبل الله المتين وتجنب العصيان لما له من آثار مدمرة على الأفراد والمجتمعات.

ختامًا، نسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يهدينا إلى سواء السبيل، ويجنبنا المعاصي والتمرد على أوامره جل جلاله، لنحظى برضاه ونعمته في الدنيا والآخرة.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - بنو إسرائيل في ضوء الإسلام، محمد أمين سليم، مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة السابعة، العدد الثالث، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

٣ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤ - تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة البابى الحلبي، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٥ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٦ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧ - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٨ - مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٩ - موقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى، علي بن نايف الشحود.

١٠ - اليهود في القرآن، السيد سابق، الفتح للاعلام العربي، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ط٤.